

ا سام ا نتضى ا سنون
على من قال
إن القبض غ مسنون

بسم ا الر ن الرحيم

اتفق أهل ا غرب على ا ذهب ا الكي منذ دخول الدولة الإدريسية القرن الثا ا جري، وشاع بينهم السدل الصلاة لاعتقاد كث من متأخري فقهائهم أنه هو السنة الصحيحة. و أوائل القرن الرابع عشر ا جري أخذ ع من العلماء ا غاربة وعلى رأسهم كبار العائلة الكتانية بالدعوة إ القبض الصلاة. فأدى ذلك إ اورة طويلة ب العلماء. وكان شاعرنا سيدي عبد الـر ن بـن جعفر الكتا أول شبابه ذلك ا ، فكتب هذه ا نظومة نصرة القبض سـنة ١٣١٩هـ (كان عمره ٢٢ سنة)

وطبعت على ا طبعة ا جرية بفاس نفس السنة. وهذا نصها:

"بسم ا الر ن الرحيم
وصلى ا على سيدنا مد وآله وصحبه وسلم

دا ن بيده القبض والبسط، وصلاة وسلاما على سيدنا ومولانا مـد أفضل أهل السماء والأرض، وعلى آله وأصحابه التابع له كل سنة وفرض، و يع من قفا أثره أقواله وأفعاله من غ إلغاء ولا رفض.

أما بعد؛ فيقول العبد الفق ، النائي عن درجة أهل ا د والتشم ، عبـد الر ن بن جعفر الكتا ، جعله ا ن ليس له عن طاعته ثا : قد وقفت علـى نظم صورة السؤال عن حكم القبض صلا النفل والفرض، للفقيه الأديب اللوذعي الأديب أ العلاء مولانا إدريس العلوي الفضيلي، فأردت أن أجيـب عنه، ظهر أنه لا تاج إ جواب، لأن سنة القبض يبق منها ا ـذهب ا الكي بعد الإمام ا سناوي ارتياب، إلا ن طمس ا بصـ ته، و يطهـر مـن الأقذار سريرته، إ بعد ذلك بأيام وقفت على جواب عنه لـبعض ا هلـة اللئام، أتى فيه بعبارات متناقضة وترهات متعارضة يضحك منه السامع والرائي، ويظن ا ميع أنه من لة أضغاث الأحلام وا رائي، بل فيه ما هو كفر أو قريب منه الورقة الثانية، حيث جعل الأمر بالرجوع إ الكتاب والسنة أعظم داهية، فلم يسع عند ذلك إلا القيام فوق هذا ا رام، فأجبت عنه ذا ا واب، الذي لا تري من معه أد علم أنه فصل ا طاب. و يته با سام ا نتضى ا سنون على من قال: إن القبض غ مسنون، فلنذكر أولا السؤال روفـه، أتبعـه با واب ا ظهر[٢٨] لزيوفه، فأقول: نص السؤال:

٢

أيا قابض الأيدي لدى الصف هل أتى ... حديث بنبذ السدل عند الفريضة

وهل هو نوع وفيه اجة ... فبا خ على أي حالة ؟

فإن كان هورا تركنا سبيله ... و ج الذين ينحون كل وجهة

ونو َ جهل الأفده لفعله ... وتركهم للحق كل ركعة

وإن كان مشروعا وقيل بندبه ... وفرضه عند الأفده الأجلة

فهذا الذي نأ احتياطا ا أتى ... لفرضه أولا تبنا منه بسرعة

ففي السدل آثار تلتها أدلة ... عليها يع الناس كل بلدة

فأول حد يقتدى بفعاله ... إمام ا دى إدريس ر ا قيقة

أتانا بسدل الصلاة رواية ... عن الأب عبد ا عا طيبة

وعنه روى ر الأئمة مالك ... لسدل يد وا ق أو برفعة

وهذا الذي الأم عن مالك الرضى ... و غ ها للقبض رأي اعة

و ذاك آثار رواها اعة ... تنيف على ا مس عدة لة

ولا ريب أن القبض قاله مالك ... ولكن ثبوت السدل الأم حجة

كذلك أعلام الأئمة كلها ... تقدم ما الأم من غ ريبة

عليها مدار ا ذهب الأ ب الذي ... سناه يباهي البدر بل للغزالة

لذلك أهل الغرب طرا تواطؤوا ... على السدل غ الا ر قام جة

على القبض من أهل العصور الا خلت ... و يأتنا قبض البدور الأهلة

كمثل إمام الراسخ مد ... ومثل إمام ا غرب ابن سودة

وكالعا الفاسي ا ليل ورهطه ... وغ هم آل ا جا والسراوة

ا فيه من تشويش عامتنا وإن ... يكن قد أتى فيه صريح الأدلة

فبا نبئ : أكانت فعا م ... ضلالا وزاغوا عن سبيل الشريعة ؟

فإن كان يوم الضلال سقوطهم ... فما أنت صوص بنيل سعادة

وإن كنت ترض بأفعال من مضى ... فحسبك فعل القبض دون اعة

وإن كان تضليلا لسالف أمة ... فأقبح ما تأتيه هيل علية

أجب سريعا بالذي أنت ذاهب ... إليه وداو الصدر من داء عل [٢٩]

انتهى السؤال، ونص ا واب:

لك ا مد يا مو الأيادي العميمة ... على نِعمٍ ليست تسام بقيمة
وأهدي إ خ ا لائق كلهم ... صلاة وتسليما لدى كل ظة
وآل وأصحاب وكل امرئ قفا ... طريقهم كل قبض ورخصة
وبعد الذي قدمت هاك جواب ما ... سألت بإنصاف بلا عصبية
فسرح به الأ اظ واقطف اره ... ورد حوضه ظى بإطفاء غلة
ولازم صراط ا ق واهجر خلافه ... فتلك وحق ا أحسن س ة
فما فاز إلا من غدا سالكا له ... فكل صلاح من صفاء الطوية
أيا سائلا عن حكم قبض اليدين ... تنفله طرا وعند ا قامة
فخذه جوابا ما اهتدى لنظ ه ... سوى من حباه ا أرفع رتبة
ودونكه من عا عارف به ... بأوضح تقرير وأ ى عبارة
فقولك البيت ا قدم: هل أتى ... حديث بنبذ السدل عند الفريضة؟
نعم جاء عن خ الورى أنه ى ... عن السدل فيها بل و كل ركعة
ولكن حفاظ ا ديث م به ... خلاف بدا كالشمس عند الظه ة
فهل سدل ثوب أو يد أو شعورنا ... ثلاثة أقوال بدت القضية
ومشترك الألفاظ يحمل عندنا ... على ماله قد وضح عند الأ ة
إذا يكن اللفظ صارفه إ ... خصوص لذا أو ذا كنحو قرينة
وأيضا فقد صح ا ديث بأمرنا ... بقبض يد يا صاح كل ركعة
ومنه أخذنا يه عن صلاتنا ... بسدل يد، فافهم تزلْ كل علة
إذا الأمر بالأشياء ع لنهينا ... عن الضر من دون ارتياب ومرية
فيا سادل الأيدي لدى الصف هل أتى ... حديث بنبذ القبض عن غ قدوة
صحيح بنقل العدل عن مثله إ ... رسول به لى ظلام الدجنة؟
فلو دمت طول العمر تبحث د ... سوى أمرنا بالقبض كل وجهة
ولا تلتفت للقائل بنسخه ... فذلك تغي كم الشريعة
فيا من له أد نصيب ومسكة ... من العقل هل نسخ وفعل الصحابة
وأتباعهم من بعدهم قدوة الورى ... وأتباعهم أهل ا زايا ا ميلة؟!
أجب أجب عن سؤا َ بالذي ... ينجيك من هادي الدواهي الردية[٣٠]

ودع ما ادعى عيش من ذاك قائلا ... بالارسال جاء الفعل عن أهل طيبة
فبطلان ما قد سطرته بنانه ... لكل امرئ باد بأبلغ حجة
سوى ا د أعمى البص ة جاحد ... لبدر الدجا أو للشموس ا ة
فلو صح ما قد قال فاعترض امرؤ ... على مالك قوله بالكراهة
لتقد ه أعمال أعلام طيبة ... على خ الآحاد من دون شبهة
ولو صح أيضا يبوا بغ ه ... وذلك لا فى على ذي ا هارة
على أن عند الترمذي خلاقه ... امعه ر العلوم النفيسة
فطالعه تلقى فيه ما قد ذكرته ... إذا كنت من أهل الفهوم السليمة
وسلم كلامي ذا وكن تابعا له ... فلا وجه للإنكار والعصبية
وقولك: ما معناه. البيت بعده ... وهل هو نوع وهل ذو احة؟
جوابه: بل مشهور مذهب مالك ... هو الندب للإرسال كل حالة
وشهر ندب القبض أيضا أئمة ... أجلاء ذو قدر عظيم ورفعة

فحينئذ ساواه شهرة ولا   كن القبض عندي زاد بالأرجحية
وما اجتمعا فيه أحق بفعلنا   له، وهو أو عندنا بالضرورة
ويأ ذا ما يتمم فاستمع   وسلم ودع أهل الفهوم السقيمة
وقولك: إن السدل قيل بفرضه   و ت وحق ا رب ا لميقة
فما قاله شخص وليس لقوله   كما صحح النقاد من خ أمة
ولازم قول ا رء ليس بقوله   كما صحح النقاد من خ أمة
وأيضا فذا إن نقل: إن منعه   مراد به كره وتلك طريقة
وقولك ما معناه: السدل كم أتى   من الأثر ا روي عند الأئمة
فهذه دعوى قد خلت عن دليلها   كما هو معلوم لأهل الدراية
فإن كان حقا ما تقول وتدعي   وكنت بذا ا يزان فارس حلبة
فسم لنا من أخرجوها بكتبهم   وعمن رووها من كبار الصحابة
على أنه قال الثقات الأ سعوا   مدى عمرهم ع ل الرواية
طلبنا حديث السدل مشرقا ومغربا   فلم نلقه بعد السن الطويلة
فإن فقتم حفظا وفهما فبح لنا   بذاك وإلا يا ا من غريبة
وإن قصروا البحث أو كان قربة   فبا خ على أية حالة[٣١]

أجب أجب بالذي أنت ذاهب   إليه وعجل بإطفاء غلة
وقولك: إن القطب إدريس قد روى   عن الأب عبد ا عا طيبة
لسدل يد، فهو افتراء وباطل   وسفسطة دون التباس وريبة
و كه عنه سواك وذاك من   أدل دليل أنه ض فرية
فإن كان منصوصا فب له   وإلا فتب أنصح توبة
وقولك عن عبد الإله: رواه ما   لك سيدي كل فعل وعمد
و ت فذا سدل ثوب كما به   يقول ابن رشد وهو ليث الكتيبة
كذاك عياض الإمام الذي له   يد لا أضاهي الأمور العويصة
ويؤخذ لفظ ا دونة ال   بسحنون، فاترك ما فهمت بقيعة
ولازم هداك ا سنة أ د   وثابر على مندو ا والرغيبة
فليس لنا إلا اتباع الذي أتى   عن ا صطفى ا ختار كل حالة
وقولك: إن القبض قاله مالك   ولكن ثبوت السدل الأم حج
فهذا عجيب منكم وكلامها   تأوله الأعلام أهل الدراية
فمن قائل: خوف اعتقاد وجوبه   ومن قائل: خوفا لإظهار خشية
ومن قائل وهو ا صحح عندهم   لأجل اعتماده اتباعا لسنة

وحينئذ فالإعتبار ا نرى الفضلي به هذا لباب القضية

فإن يكن للاعتماد فسنة   وإلا فحقق كرهه الفريضة
وقال أخي عبد العزيز بن جعفر   بتقريظه ذا النظم حاوي البلاغة
على أن ما الأمر عندي معارض   ا موطأ مالك دون مرية
ومهما خليلي أمكن ا مع عندنا   فبادر للتوفيق غ مهلة
وهل كن التوفيق إلا بقولنا   بسنة للقبض كل ركعة؟
أقول وهذا واضح ليس تري   به ذو حجا أو فكرة مستقيمة
وقولك: نبئ أكانت فعا م   ضلالا وزاغوا عن سبيل الشريعة
جوابه: لا لا يكن قط فعلهم   ضلالا وزيغا عن سواء الطريقة
ولكنهم إذ ذاك قد فهموا كلا   مها مطلقا عن غ قصد لسنة
فصاروا بسدل يعملون لأنه   هو النص عن متبوعهم بالصراحة
و ا أتى من بعدهم وتعقبوا   على مالك قوله بالكراهة[٣٢]

بأنه فعل ا صطفى وصحابه   وأتباعهم من بعدهم دون شبهة
وكم جاء فيه من نصوص صر ة   وعدة آثار حسان صحيحة
فيقبح إطلاق الكراهة الذي   به عمل ا ختار من دون علة
وقيل بتقييد ا دونة اا   عليها مدار الأمر عند الأجلة
ن قصده من وضعه الإعتماد لا   ن قصده ففو اا ية
غدا كل من يبغي التسنن منهم   يرى تركه أو لأجل السلامة
لكو م يألفوه بأرضهم   فيغمون كل الفاعلا لبدعة
وينشأ عنه إن غدا فاعلا له   كلام وهرج وانتهاك رمة
وما كان فيه درء مفسدة يرى   تقدمه أو لأجل الوقاية
فإن اتقاء ا رء عرضا له بتر   ك سنة أمر واجب بالأدلة
فلما رأوا ذا هكذا اقتصروا على   حكاية ترجيح له الصحيفة
وإن أمكن الإتيان سرا أتوا به   وإلا أتوا بالصد من خوف فتنة
ولو أن أهل العصر طرا تواطئوا   على قبض أيديهم فعلنا بسرعة
فهذا جوا باختصار ولو أشا   لطولته طولا بدون ملالة
على أن العلم أحقر من يرى   ولا يد فيه لكشف عويصة
ولكن حررته عن مشا ي   أجل الورى كل فضل ورفعة
كوالدنا شيخ الوجود ومن غدا   بذا العصر للأعلام أفضل قدوة
وسيدنا ا و الأخ العا الذي   به اجتمعت كل ا صال ا ميدة
أ الفضل والأفضال والنور والعلا   مد السامي لأعلى منصة
أطال إله العا بقا ا   وحفهما با فظ كل وجهة
لذاك أتى هذا ا واب كما ترى   وفيه الشفا للأنفس ا طمئنة
سوى أنه ا ق الذي بنواجذ   يعض عليه كل أهل البصـ ة
فخذه دواء نافعا للذي ترى   بصدرك تشفى من سقام ا هالة
ودونك سيفا قاطعا كل حجة   ترى كلهم للسدل أوثق عروة
ولا تعتـ من قد أجاب بغـ ه   فما هو إلا ذو هوى ا قيقة
ولولا اتقاء ا جل جلاله   لألبسته بالذم أقبح حلة
جزاء وفاقا سيما من أجابكم   بظلمة أفكار بدون روية[٣٣]

فإ   مد ا   ذاك مفلق   و   عند ذا ا يدان أ ر آية
لسا فصيح معرب ونظامه   بليغ حلا   رونق وطلاوة
و بيتنا نور النبوءة ساطع   به تنجلي عن فكرنا كل ظلمة
ولكن خوف ا   كف لساننا   عن الزور والبهتان   كل حالة
وأ اعنا قد كفها عن   ارم   وألسننا قد صان عن كل غيبة
وحب   يع ا سلم   أنالنا   عليهم حنوا لا تشاب بقسوة
وشيمتنا: أن لا نقابل من أسا   إلينا بإغلاظ ولا بفضاضة
ولكن بإحسان إليه وكل ما   به من قول   يل ور ة
حبانا إله العرش ذاك وراثة   من ا صطفى أعظم ا من وراثة
فأبنا بتوفيق وفضل منضد   وءاب * ذلان وكل بلية
وذلك فضل ا   يؤتيه من يشا   ء وا   ذو الفضل العظيم ا لالة
ولكن   أرجو من ا   أنه   يؤيدكم كي تدوا للمحجة
فيكسبكم نورا ويسمع عكم   ويفتح منكم كل ء   ضريرة
وأسأل رب العا   مواهبا   ب على قل   بنور وحكمة
وعلما وإخلاصا ومعرفة به   وإصلاح حال مع صفاء السريرة
بأكرم رسل ا   أ د من غدا   إمام ا دى مصباح أهل ا قيقة
عليه صلاة ا   سلامه   وءاله من فازوا بأس   فضيلة
وأزواجه   البن   ونسلهم   وأصحابه أهل الصدور السليمة
صلاة ا نرقى إ   الرتب العلا   وندرك ما نرجوه دون مشقة
ويبقى على مر الزمان   دد   ا أبدا   كل وقت و ة
ومذ كملت تار ها قال منشدا   جواب حوى فضل ا طاب بصحة
وأبيا ا من دون هذا وما أحا   ط إ اد حق دون زيد بعدة
وم   على قار وراء وسامع   لذا النظم بالإنصاف خ   ية

* الفاعل ضم   يعود على ا يب بظلمة الأفكار.

كتبت سنة ١٢١٩هـ [٣٤].